

من عبقرية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

عبقرية اللغة العربية نموذج معاني أوزان الأفعال

بقلم: ثابت عيد

تقديم

173- تعليم اللغة بأساليب مختلفة

تعليم اللغة غالباً ما يتم بصورة خاطئة. تختلف الأسباب وتعدد، ولكن الحصيلة واحدة، وهي عدم الإلمام بأسرار اللغة. إنها مشكلة ملموسة بدرجات متفاوتة في الشرق والغرب على السواء. فالأوروبي أو الأمريكي لا يختلف هنا كثيراً عن العربي أو التركي.

تبرز المشكلة في المدرسة أولاً. تلميذ متعطش إلى العلم والمعرفة يواجه بمناهج جافة، هي أشبه باللوغارتيومات الغامضة منها إلى الأسلوب العلمي الواضح، فيصاب بالملل وخيبة الأمل، وينصرف عن

تعلم اللغة والإقبال عليها، إلى ما هو أوضح وأسهل وأجذب.

المناهج جافة، المعلم غير مؤهل، المسؤولون يتفرجون. النتيجة: سطحية إلمامنا باللغة، وسطحية استخدامنا لها.

الإمام محمد عبده (١٨٤٩-١٩٠٥م)

واجه هذه الإشكالية في مقتبل عمره، وأصابه اليأس والملل من طريقة تعليم اللغة العربية في المدارس المصرية في ذلك الوقت. كاد أن يهجر التعليم بسبب حالة التخلف والجمود التي أصابت المجتمع المصري حينئذ. يقول محمد عبده عن هذه التجربة المريرة: «...» ثم في سنة ١٢٨١ هجرية جلست في دروس العلم، وبدأت بتلقي "شرح الكفراوي على الأجرومية" في المسجد الأحمدى بطنطا. وقضيت سنة ونصف سنة لا أفهم شيئاً لرداءة طريقة التعليم. فإن المدرسين كانوا يُفاجئوننا باصطلاحات نحوية أو فقهية لا نفهمها، ولا عناية لهم بتفهم معانيها لمن لا يعرفها. فأدركني اليأس من النجاح، وهربت من الدروس، واختفيت عند أخوالي مدة ثلاثة أشهر. ثم عثر علي أخي، فأخذني إلى الجامع الأحمدى، وأراد إكراهي على طلب العلم، فأبيت. وقلت له: قد أيقنت أن لا نجاح لي في طلب العلم، ولم يبق علي إلا أن أعود إلى بلدي وأشتغل بملاحظة الزراعة كما يشتغل الكثير من أقاربي. وانتهى الجدال بتغليبي عليه. فأخذت ما كان لي من ثياب وممتع ورجعت إلى محلة نصر على نية ألا أعود إلى طلب العلم. وتزوجت في سنة ١٢٨٢ هجرية على هذه النية» (١).

يصف محمد عبده هذه المحطة الهامة من حياته، قائلاً: «فهذا أول أثر وجدته في نفسي من طريقة التعليم في طنطا، وهي بعينها طريقته في الأزهر. وهو الأثر الذي يجده خمسة وتسعون في المئة ممن لا يساعدهم القدر بصحبة من لا يلتزمون هذه السبيل في التعليم، سبيل إلقاء المعلم ما يعرفه أو ما لا يعرفه، بدون أن يراعي المتعلم ودرجة استعدادده للفهم. غير أن

الأغلب من الطلبة الذين لا يفهمون تغشهم أنفسهم، فيظنون أنهم فهموا شيئاً. فيستمررون على الطلب إلى أن يبلغوا سن الرجال وهم في أحلام الأطفال. ثم يبتلى الناس بهم، وتصاب بهم العامة، فتعظم بهم الرزية، لأنهم يزيدون الجاهل جهالة، ويضللون من توجد عنده داعية الاسترشاد، ويؤذون بدعاويهم من يكون على شيء من العلم، ويحولون بينه وبين نفع الناس بعلمه» (٢).

شاء القدر بعد ذلك أن يلتقي محمد عبده بقريب له كان له الأثر الأكبر في تغيير مسار حياته، حيث شرح له قواعد النحو بأسلوب سهل بسيط، وأبان له ما لم يفهمه. ونظراً لأهمية هذا الحادث في حياة الشيخ محمد عبده، فمن الأفضل أن ننقل تقييمه لهذه التجربة بكلماته الشخصية كما وردت في مذكراته، حيث يقول: «بعد أن تزوجت بأربعين يوماً جاءني والدي ضحوة نهار، وألزمني بالذهاب إلى طنطا لطلب العلم. وبعد احتجاج وتمنع وإباء لم أجد مندوحة عن إطاعة الأمر، ووجدت فرساً أحضر، فركبته. وأصبحني والدي بأحد أقاربي - وكان قوي البنية شديد البأس - ليشيعني إلى محطة ايتاي البارود التي أركب منها قطار السكة الحديدية إلى طنطا. كان اليوم شديد الحر، والريح عاصفة ملتهبة سافياء **بذات غبار**، تحجب الوجه بشبه الرمضاء **شدة الحر**، فلم أستطع الاستمرار في السير. فقلت لصاحبي: أما مداومة السير، فلا طاقة لي بها مع هذه الحرارة، ولابد من التعرّيج على قرية أنتظر فيها حتى يخف الحر. فأبى علي ذلك، فتركته، وأجريت الفرس هارباً من مشادته، وقلت: إنني ذاهب إلى كنيسة أورين - بلدة غالب سكانها من خوولة أبي - وقد فرح بي شبان القرية، لأنني كنت معروفاً بالفرسية واللعب بالسلاح. وأملوا أن أقيم معهم مدة يلهو فيها كل منا بصاحبه. أدركني صاحبي، وبقي معي إلى العصر، وأرادني على السفر، فقلت له: خذ الفرس وارجع، وسأذهب صباح الغد، وإن شئت قلت

من عبقرية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

لوالدي إنني سافرت إلى طنطا. فانصرف وأخبر بما أخبر. وبقيت في هذه القرية خمسة عشر يوماً تحولت فيها حالتي، وبدلت فيها رغبة غير رغبتني.

ذلك أن أحد أحوال أبي واسمه الشيخ درويش سبقت له أسفار إلى صحراء ليبيا، ووصل في أسفاره إلى طرابلس الغرب، وجلس إلى السيد محمد المدني، والد الشيخ ظافر المشهور الذي كان قد سكن الأستانة وتوفي بها، وتعلم عنده شيئاً من العلم، وأخذ عنه الطريقة الشاذلية. وكان يحفظ الموطأ وبعض كتب الحديث، ويجيد حفظ القرآن وفهمه. ثم رجع من أسفاره إلى قريته، واشتغل بما يشتغل به الناس من فلاحه الأرض، وكسب الرزق بالزراعة.

جاءني هذا الشيخ صبيحة الليلة التي بنتها في الكنيسة، ويده كتاب يحتوي على رسائل كتبها السيد محمد المدني إلى بعض مرديه بالأطراف، بخط مغربي دقيق. وسألني أن أقرأ له فيها شيئاً لضعف بصره، فدفعت طلبه بشدة، ولعنت القراءة ومن يشتغل بها، ونفرت منه أشد النفور. ولما وضع الكتاب بين يدي، رميته إلى بعيد. لكن الشيخ تبسم، وتجلى في أطف مظاهر الحلم. ولم يزل بي حتى أخذت الكتاب وقرأت منه بضعة أسطر. فاندفع يفسر لي معاني ما قرأت بعبارة واضحة تغالب إعراضي فتغلبه، وتسبق إلى نفسي. وبعد قليل جاءني الشبان يدعونني إلى ركوب الخيل واللعب بالسلاح والسباحة في نهر قريب من القرية، فرميت الكتاب وانصرف إليهم.

بعد العصر جاءني الشيخ بكتابه، وألح علي في قراءة شيء منه. فقرأت، وفسر. ثم تركته إلى اللعب. وفعل في اليوم التالي كما فعل في الأول. أما اليوم الثالث، فقد بقيت أقرأ له فيه، وهو يشرح لي معاني ما أقرأ نحو ثلاث ساعات لم أمل فيها. فقال لي إنه في حاجة إلى الذهاب إلى المزرعة، ليعمل بعض العمل فيها، فطلبت منه إبقاء الكتاب معي، فتركه. ومضيت أقرأه.

وكلما مررت بعبارة لم أفهمها، وضعت عليها علامة، لأسأله عنها. إلى أن جاء وقت الظهر، وعصيت في ذلك اليوم كل رغبة في اللعب وهوى ينازعني إلى البطالة. وعصر ذلك اليوم سألته عما لم أفهمه، فأبان معناه على عادته. وظهر عليه الفرح بما تجدد عندي من الرغبة في المطالعة والميل إلى الفهم.

كانت هذه الرسائل تحتوي على شيء من معارف الصوفية، وكثير من كلامهم في آداب النفس وترويضها على مكارم الأخلاق، وتطهيرها من دنس الرذائل، وتزهيدها في الباطل من مظاهر هذه الحياة الدنيا.

لم يأت علي اليوم الخامس إلا وقد صار أبغض شيء إلى ما كنت أحبه من لعب ولهو وفخضة وزهو، وعاد أحب شيء إلي ما كنت أبغضه من مطالعة وفهم. وكهت صور أولئك الشبان الذين يدعونني إلى ما كنت أحب، وزهدوني في عشرة الشيخ رحمه الله، فكنت لا أحتمل أن أرى واحداً منهم، بل أفر من لقائهم جميعاً كما يفر السليم من الأجر.

في اليوم السابع سألت الشيخ: ما هي طريقتهم؟ فقال: طريقتنا هي الإسلام. فقلت: أو ليس كل الناس بمسلمين؟ قال: لو كانوا مسلمين، لما رأيتهم يتنازعون على التافه من الأمر، ولما سمعتهم يحلفون بالله كاذبين، بسبب وبغير سبب. هذه الكلمات كانت كأنها ناراً أحرقت جميع ما عندي من المتاع القديم - متاع تلك الدعاوى الباطلة والمزاعم الفاسدة، متاع الغرور بأننا مسلمون ناجون، وإن كنا في غمرة ساهين. سألته: ما وردكم الذي يتلى في الخلوات أو عقب الصلوات؟ قال: لا ورد لنا سوى القرآن. نقرأ بعد كل صلاة أربعة أرباع مع الفهم والتدبر. قلت: إنني لم أفهم القرآن، ولم أتعلم شيئاً! قال: أقرأ معك. ويكفيك أن تفهم الجملة، وبركتها يفيض الله عليك التفصيل. وإذا خلوت، فاذكر الله - على طريقة بينها.

وأخذت أعمل على ما قال من اليوم

الثامن، فلم تمض علي بضعة أيام، إلا وقد رأيتني أطيّر بنفسي في عالم آخر غير الذي كنت أعهد. واتسع لي ما كان ضيقاً، وصغر عندي من الدنيا ما كان كبيراً، وعظم عندي من أمر العرفان والنزوع بالنفس إلى جانب القدس ما كان صغيراً. وتفرقت عني جميع الهموم. ولم يبق لي إلا هم واحد وهو أن أكون كامل المعرفة، كامل أدب النفس. ولم أجد إماماً يرشدني إلى ما وجهت إليه نفسي إلا ذلك الشيخ الذي أخرجني في بضعة أيام من سجن الجهل إلى فضاء المعرفة، ومن قيود التقليد إلى إطلاق التوحيد. هذا هو الأثر الذي وجدته في نفسي من صحبتة أحد أقاربي وهو الشيخ درويش خضر، من أهل كنيسة أورين من مديرية البحيرة. وهو مفتاح سعادتني، إن كانت لي سعادة في هذه الحياة الدنيا. وهو الذي رد لي ما كان غاب من غريزتي، وكشف لي ما كان خفي عني مما أودع في فطرتي.

وفي اليوم الخامس عشر مر بي أحد سكان بلدتنا (محلة نصر)، فأخبرني أن والدي ذهبت إلى طنطا لتراني، فعلمت أنه سيقول لوالدي إنني لا أزال في الكنيسة. فأصبحت مبكراً إلى طنطا خوف عتاب الوالد واشتداده في اللوم، لأنني لو كنت أقمت له ألف دليل على أنني وجدت في مهربي مطلبه ومطلبي، لما اقتنع.

ذهبت إلى طنطا، وكان ذلك قرب آخر السنة الدراسية في شهر جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٢ هجرية. ولكن اتفق أن بعض المشايخ كانت ماتت بنته، فعاقه الحزن عليها عن إتمام "شرح الزرقاني على العزية"، وأخر عرض له عارض منعه عن إتمام "شرح الشيخ خالد على الأجرومية". فأدركت كلا منهما في أوائل الكتاب الذي كان يدرس. وجلست في الدرسين "شرح الزرقاني على العزية والشيخ خالد على الأجرومية". فوجدت نفسي أفهم ما أقرأ وما أسمع، والحمد لله. وعرف ذلك مني بعض الطلبة، فكانوا يلتفون حولي لأطالع معهم قبل الدروس ما سنلتقاه.

من عبقرية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

وفي يوم من شهر رجب من تلك السنة كنت أطلع بين الطلبة، وأقرر لهم معاني "شرح الزرقاني"، فرأيت أمامي شخصاً يشبه أن يكون من أولئك الذين يُسمونهم بالمجاذيب. فلما رفعت رأسي إليه، قال ما معناه: ما أحلى حلوى مصر البيضاء! فقلت له: وأين الحلوى معك؟ فقال: سبحان الله! من جد وجد! ثم انصرف. فعددت ذلك القول منه إلهاماً ساقه الله إلي، ليحملني على طلب العلم في مصر دون طنطا.

وفي منتصف شوال من تلك السنة ذهبت إلى الأزهر، وداومت على طلب العلم على شيوخه، مع محافظتي على العزلة والبعد عن الناس، حتى كنت أستغفر الله إذا كلمت شخصاً كلمة لغير ضرورة. وفي أواخر كل سنة دراسية كنت أذهب إلى محلة نصر، لأقيم بها شهرين من منتصف شعبان إلى منتصف شوال. وكنت عند وصولي إلى البلد أجد خال والدي الشيخ درويشاً قد سبقني إليه. فكان يستمر معي يدارسني القرآن والعلم إلى يوم سفري. وكل سنة كان يسألني: ماذا قرأت؟ فأذكر له ما درست، فيقول: ما درست المنطق؟ ما درست الحساب؟ ما درست شيئاً من مبادئ الهندسة؟ وهكذا. وكنت أقول له: بعض هذه العلوم غير معروف الدراسة في الأزهر. فيقول: طالب العلم لا يعجز عن تحصيله في أي مكان. فكنت إذا رجعت القاهرة، ألتمس هذه العلوم عند من يعرفها، فتارة كنت أخطئ في الطلب، وأخرى أصيب، إلى أن جاء المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر وأخر سنة ١٢٨٦ هجرية.

وقد صاحبه ابتداء من شهر المحرم سنة ١٢٨٧، وأخذت ألقى عنده بعض العلوم الرياضية والحكمية (الفلسفية) والكلامية، وأدعو الناس إلى التلقي عنه كذلك. وأخذ مشايخ الأزهر والجمهور من طلبته يتقنون عليه وعلينا الأقاويل، ويزعمون أن تلقي تلك العلوم قد يفضي إلى زعزعة العقائد الصحيحة، وقد يهوي

بالنفس في ضلالات تحرمها خيري الدنيا والآخرة. فكننت إذا رجعت إلى بلدي، عرضت ذلك على الشيخ درويش. فكان يقول لي: إن الله هو العليم الحكيم. ولا علم يفوق علمه وحكمته. وإن أعدى أعداء العليم هو الجاهل، وأعدى أعداء الحكيم هو السفيف. وما تقرب أحد إلى الله بأفضل من العلم والحكمة. فلا شيء من العلم بممقوت عند الله، ولا شيء من الجهل بمحمود لديه، إلا ما يسميه بعض الناس علماً، وليس في الحقيقة بعلم كالسحر والشعوذة ونحوهما، إذا قصد من تحصيلها الإضرار بالناس» (٣).

نراه من هذه الرواية الدور الحاسم للمعلم في حياة العظماء. فلولا الشيخ درويش لما سمعنا عن الشيخ محمد عبده. وكم من عباقرة اندثروا، وكم من موهوبين اغتيلوا وانمحوا، بسبب تخلف المناهج، وغياب المعلم الواعي المحنك. فالمعلم بالذات بوسعه اكتشاف المواهب، وصقلها، وترشيدها. فقد يراينا الدور الفعال الذي لعبه ابراهيم النظام في حياة الجاحظ. وحديثاً عرفنا تأثير المرحوم الشيخ محمد الغزالي على الشيخ يوسف القرضاوي. وفي حياة عميدة الاستشراق الألماني أنا ماري شيميل قام المستشرق إرنست كونل بإرشادها إلى كنوز الفن الإسلامي، في حين علمها أستاذها الآخر فريدريخ هايلر سماحة الإسلام، ناهيك عن أبطالها العظام الذين ألهموها فكرة تشييد الجسور بين الشرق والغرب، من أمثال محمد إقبال، وجوته، ورويكتر. وليرجع القارئ إلى كتابنا عن هذه العالمة العظيمة.

ولكن الأهم من ذلك كله هو أن يدرك المسؤولون في عالمنا العربي أهمية تطوير مناهج تعليم اللغة العربية، وضرورة تدريس أمهات كتب اللغة والنحو والصرف في المدارس والجامعات بطرق حديثة مبتكرة، تجذب التلامذة والطلاب، وتشجعهم على الخوض في هذه العلوم الغنية.

174- هل اللغة إلهام أم اصطلاح؟

من المسائل التي شغلت القدماء مسألة: هل اللغة إلهام من الله ووحى إلى الإنسان، أم إنها مواضعة واصطلاح، أي من وضع الإنسان دون تدخل من البارئ تعالى؟ وهي مسألة لها خلفيات أخرى كثيرة ومتعددة. فإذا كانت اللغة وحياً وإلهاماً، فهل يحق للإنسان إن يطورها؟ وهل يكون حصر مفرداتها سهلاً مشروعاً؟ وهل يمكن الوقوف على أسرارها وقوانينها؟ وما هو دور الإنسان في تطويرها واثرائها؟ وهل للمسألة أي علاقة من قريب أو بعيد بقضية خلق القرآن التي أنهكت المجتمع الإسلامي في عصر المعتزلة؟

يقول اللغوي أبو الفتح عثمان بن جني (توفي سنة ٣٩٢ هجرية) عن أصل اللغة، الإلهام هي أم اصطلاح: «هذا موضع محوج إلى فضل تأمل. غير أن أكثر أهل النظر على أن أصل اللغة إنما هو تواضع واصطلاح، لا وحي وتوقيف. إلا أن أبا علي رحمه الله، قال لي يوماً: هي من عند الله. واحتج بقوله سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾. وهذا لا يتناول موضع الخلاف. وذلك أنه قد يجوز أن يكون تأويله: أقدر آدم على أن واضع عليها. وهذا المعنى من عند الله سبحانه لا محالة. فإذا كان ذلك محتملاً غير مستنكر، سقط الاستدلال به. وقد كان أبو علي رحمه الله أيضاً قال به في بعض كلامه. وهذا أيضاً رأي أبي الحسن، على أنه لم يمنع قول من قال إنها تواضع منه. على أنه قد فسّر هذا بأن قيل: إن الله سبحانه علم آدم أسماء جميع المخلوقات، بجميع اللغات: العربية، والفارسية، والسريانية، والعبرانية، والرومية، وغير ذلك من سائر اللغات. فكان آدم وولده يتكلمون بها. ثم إن ولده تفرقوا في الدنيا، وعلق كل منهم بلغة من تلك اللغات، فغلبت عليه، وضمحل عنه ما سواها، لبعدهم عنها. وإذا كان الخبر الصحيح قد ورد بهذا، وجب تلقيه باعتقاده، والانتواء على القول به.

فإن قيل: فاللغة فيها أسماء، وأفعال، وحروف، وليس يجوز أن يكون المعلم من

من عبقورية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

ذلك الأسماء دون غيرها مما ليس بأسماء، فكيف خص الأسماء وحدها؟ قيل: اعتمد ذلك من حيث كانت الأسماء أقوى القَبْلِ ﷻ = الأنواع الثلاثة، ولابد لكل كلام مفيد من الاسم. وقد تستغنى الجملة المستقلة عن كل واحد من الحرف والفعل. فلما كانت الأسماء من القوة والأولية في النفس والترتبة على ما لا خفاء به، جاز أن يكتفي بها مما هو تال لها، ومحمول في الحاجة إليه عليها. (...)

ثم لنعد فلننقل في الاعتلال لمن قال بأن اللغة لا تكون وحيًا. وذلك أنهم ذهبوا إلى أن أصل اللغة لابد فيه من المواضعة. قالوا: وذلك كأن يجتمع حكيمان أو ثلاثة فصاعداً، فيحتاجوا إلى الإبانة عن الأشياء المعلومات، فيضعوا لكل واحد ﷻ منها سمة ولفظاً، إذا ذُكر، عُرِفَ به ما مسماه، ليمتاز من غيره، وليغني بذكره عن إحضاره إلى مرآة العين. فيكون ذلك أقرب وأخف وأسهل من تلكف إحضاره، لبلوغ الغرض في إيانة حاله. بل قد يحتاج في كثير من الأحوال إلى ذكر ما لا يمكن إحضاره ولا إدناؤه، كالمعاني، وحال اجتماع الضدين على المحل الواحد، كيف يكون ذلك لو جاز، وغير هذا مما هو جار في الاستحالة والبعد مجراه - فكأنهم جاؤوا إلى واحد من بني آدم، فأومؤا إليه، وقالوا: إنسان إنسان إنسان. فأى وقت سمع هذا اللفظ، علم أن المراد به هذا الضرب من المخلوق. وإن أرادوا سمة عينه أو يده، أشاروا إلى ذلك، فقالوا: يد، عين، رأس، قدم، أو نحو ذلك. فمتى سمعت اللفظة من هذا، عُرِفَ معناها، وهلم جراً فيما سوى هذا من الأسماء، والأفعال، والحروف.

ثم لك من بعد ذلك أن تنقل المواضعة إلى غيرها، فتقول: الذي اسمه إنسان، فليجعل مكانه مرء، والذي اسمه رأس، فليجعل مكانه سرُّ بالفارسية ﷻ، وعلى هذا بقية الكلام. وكذلك لو بدئت اللغة الفارسية، فوقعت المواضعة عليها، لجاز أن

تُنقل ويؤد منها لغات كثيرة: من الرومية، والزنجية، وغيرهما. وعلى هذا ما نشاهده الآن من اختراعات الصناع لآلات صنائعهم من الأسماء: كالنجار، والصائغ، والحائك، والبنّاء، وكذلك الملاح.

قالوا: ولكن لابد لأولها من أن يكون متواضعاً بالمشاهدة والإيماء. قالوا: والقديم سبحانه لا يجوز أن يوصف بأن يواضع أحداً من عباده على شيء، إذ قد ثبت أن المواضعة لابد معها من إيماء وإشارة بالجراحة نحو المومأ إليه، والمشار نحوه، والقديم سبحانه لا جراحة له، فيصح الإيماء والإشارة بها منه. فبطل عندهم أن تصح المواضعة على اللغة منه، تقدست أسماؤه. (...)

واعلم فيما بعد، أنني على تقادم الوقت، دائم التنقيب والبحث عن هذا الموضوع، فأجد الدواعي والخوارج قوية التجاذب لي، مختلفة جهات التغول على فكري. وذلك أنني إذا تأملت حال هذه اللغة الشريفة، الكريمة اللطيفة، وجدت فيها من الحكمة والدقة والإرهاق والرقّة، ما يملك علي جانب الفكر، حتى يكاد يطمح به أمام غلوة السحر. فمن ذلك ما نبه عليه أصحابنا رحمهم الله، ومنه ما حذوته على أمثلتهم، فعرفت بتتابعه وانقياده، وبعد مراميه وأماده، صحة ما وفقوا لتقديمه منه، ولطف ما أسعدوا به، وفرق لهم عنه. وانضاف إلى ذلك وارد الأخبار الماثورة بأنها من عند الله جل وعز، فقوي في نفسي اعتقاد كونها توفيقاً من الله سبحانه، وأنها وحي.

ثم أقول في ضد هذا: كما وقع لأصحابنا ولنا، وتنبهوا وتنبهنا، على تأمل هذه الحكمة الرائعة الباهرة، كذلك لا ننكر أن يكون الله تعالى قد خلق من قبلنا - وإن بعد مداه عناً - من كان أطف منّا أذهاناً، وأسرع خواطر، وأجرأ جناناً. فأقف بين تين الخلتين حسيراً، وأكاثرهما فأنكفئ مكثوراً. وإن خطر خاطر فيما بعد يعلّق الكف بإحدى الجهتين، ويكفها عن صاحبها، قلنا به، وبالله التوفيق» (٤).

القول بأن اللغة وحي وإلهام قد يعني التقليل من قدرة الإنسان على تطوير اللغة، وقد يعني أيضاً التقليل من قيمة العقل، وقد يعني الميل إلى نسب كل شيء إلى البرائئ تعالى، وجعل الإنسان مجرد كائن لا حول له ولا قوة. فلا عجب أن يقول الأشعري بالتوقيف - أي أن اللغة وحي من الله - وأن يكون القول بالاصطلاح والتواضع هو رأي غالبية المعتزلة (٥).

ولنتعرض آراء بعض العلماء حول هذه القضية: «قال أبو الحسن أحمد بن فارس في فقه اللغة: اعلم أن لغة العرب توقيف، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾» (٦). وقال أبو الفتح بن برهان في كتاب الوصول إلى الأصول: اختلف العلماء في اللغة: هل تثبت توقيفاً أو اصطلاحاً؟ فذهب المعتزلة إلى أن اللغات بأسرها تثبت اصطلاحاً، وذهبت طائفة إلى أنها تثبت توقيفاً (٧). ولخص السيوطي آراء بعض العلماء، قائلاً: «وقال الإمام فخر الدين الرازي في المحصول، وتبعه تاج الدين الأرموي في الحاصل، وسراج الدين الأرموي في التحصيل ما ملخصه: ... الألفاظ إما أن تدل على المعاني بذواتها، أو بوضع الله إياها، أو بوضع الناس، أو بكون البعض بوضع الله والباقي بوضع الناس. والأول مذهب عبّاد بن سليمان، والثاني مذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري وابن فورك، والثالث مذهب أبي هاشم. وأمّا الرابع فإما أن يكون الابتداء من الناس والتتمة من الله، وهو مذهب قوم. أو الابتداء من الله والتتمة من الناس، وهو مذهب الأستاذ أبي اسحق الاسفرايني» (٨).

ميل المعتزلة إلى القول بأن اللغة ليست وحيًا من الله، بل من وضع الإنسان وتطويره يعود في المقام الأول إلى كثرة اشتغال المعتزلة باللغة والنحو والتصريف والمنطق، بعكس أصحاب المذاهب الأخرى. يقول مازن المبارك في كتابه «الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه»: «

من عبقرية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

«ويعود أمر الصلة بين النحو والاعتزال إلى العقل وعمله في كل من الميدانين. فكما كان العقل عند المعتزلة آلة للدفاع عن العقيدة، كذلك كان عند النحاة آلة تقعيد الأحكام النحوية التي وصلوا إليها باستقراء كلام العرب. وقد كان النحو والاعتزال متجاورين في عقول الكثيرين من العلماء، حتى بلغ بعض هؤلاء مرتبة الإمامة في العلمين جميعاً. وكان منهم أمثال: السيرافي والفارسي وابن جني والزمخشري. وقد لاحظ العلماء كثرة المعتزلة بين النحويين، حتى أفردوا تراجمهم بكتب خاصة» (٩).

والعجب كل العجب أن نجد بعض أتباع المذاهب الأخرى وقد برع في مثل هذه العلوم الدقيقة التي نلاحظ تأثير الرياضيات على قواعدها وأصولها. فمن ذلك مثلاً ابن الحاجب (توفي سنة ٦٤٦ هجرية) الذي برع في علوم متعددة منها التصريف والنحو. فقد كان على المذهب المالكي في الفقه، فكان «كمال الدين الزملكاني يقول: "ليس للشافعية مثل مختصر ابن الحاجب للمالكية"» (١٠). وبالرغم من أن هذا المختصر كان في أصول الفقه، إلا أن ابن الحاجب قد برع - كما ذكرنا - في علوم اللغة والنحو والتصريف. والملفت هنا أنه كان مالكياً، وليس حنفياً أو شافعيًا. فمن المعروف أن: «الغالب في الحنفية معتزلة، والغالب في الشافعية أشاعرة، والغالب في المالكية قدرية، والغالب في الحنابلة حشوية. ومن المعتزلة الصاحب بن عباد، والزمخشري صاحب الكشاف، والفرّاء النحوي، والسيرافي» (١١).

النظر والتأمل في هذه القضية قد يعين القارئ ويشجعه على تعلم اللغة الألمانية، وغيرها من اللغات الأوروبية، وخاصة بعدما فقدت اللغة العربية عرشها، ولم تعد من لغات العلم الحديث. **175- محاولة الخليل إحصاء كلمات العربية سنقتصر** هنا على إلقاء الضوء على شخصية الخليل المتميزة، ثم على خليات

محاولته إحصاء مفردات اللغة العربية. يقول خير الدين الزركلي عن الخليل بن أحمد (١٠٠ - ١٧٠ هـ = ٧١٨ - ٧٨٦ م): «الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي اليمامي، أبو عبد الرحمن: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، أخذه من الموسيقى وكان عارفاً بها. وهو أستاذ سيبويه النحوي. وُلِدَ ومات في البصرة. وعاش فقيراً صابراً. كان شعث الرأس، شاحب اللون، كشف الهيئة، متمزق الثياب، متقطع القدمين، مغموراً في الناس لا يُعرف. قال النضر بن شميل: ما رأى الراؤون مثل الخليل، ولا رأى الخليل مثل نفسه. له كتاب (العين - خ) في اللغة، و(معاني الحروف - خ)، و(جملة آلات العرب - خ)، و(تفسير حروف اللغة - خ)، وكتاب (العروض)، و(النقط والشكل)، و(الانغم). وفكر في ابتكار طريقة في الحساب تسهله على العامة، فدخل المسجد وهو يعمل فكره، فصدمته سارية وهو غافل، فكانت سبب موته.

والفراهيدي نسبة إلى بطن من الأزد، وكذلك اليمامي. وفي طبقات النحويين - خ - للزبيدي: كان يونس يقول الفرهودي (بضم الفاء) نسبة إلى حي من الأزد. ولم يُسم أحدٌ بأحمد بعد رسول الله - صلعم - قبل والد الخليل. وقال اللغوي في (مراتب النحويين): أبدع الخليل بدائع لم يسبق إليها. فمن ذلك تأليفه كلام العرب على الحروف في الكتاب المسمى بكتاب (العين). فإنه هو الذي رتب أبوابه، وتوفي قبل أن يحشوه. وقال ثعلب: إنما وقع الغلط في كتاب العين، لأن الخليل رسمه ولم يحشه، وهو الذي اخترع العروض وأحدث أنواعاً من الشعر ليست من أوزان العرب. وليوسف العشى (قصة عبقرية - ط) رسالة من سلسلة (اقرأ) في سيرته» (١٢).

وروى ابن خلكان «أن الخليل كان له ولد متخلف، فدخل على أبيه يوماً، فوجده يُقطع بيت شعر بأوزان العروض. فخرج إلى الناس وقال: إن أبي قد جن. فدخلوا

عليه، وأخبروه بما قال ابنه، فقال مخاطباً له:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني
أو كنت تعلم ما تقول عذلتك

لكن جهلت مقالتي فعذلتني
وعلمت أنك جاهل فعذرتك» (١٣).

كان الخليل ذا عقلية رياضية فذة من الطراز الأول. وتقران كتب التاريخ بينه وبين ابن المقفع. فالخليل كان صاحب عقل كبير، وبالتالي لم تصدر عنه حماقات. في حين أن ابن المقفع كان يقرأ كثيراً، دون أن يعي أو يفهم ما يقرأه. ولذلك قيل إن عقل الخليل أكبر من علمه، وإن علم ابن المقفع أكبر من عقله. يحكي ابن خلكان، قائلاً: «واجتمع الخليل وعبد الله بن المقفع ليلة يتحدثان إلى الغداة. فلما تفرقا، قيل للخليل: كيف رأيت ابن المقفع؟ فقال: رأيت رجلاً علمه أكثر من عقله. وقيل لابن المقفع: كيف رأيت الخليل؟ قال: رأيت رجلاً عقله أكثر من علمه» (١٤). ويعلق المغيرة على هذه الواقعة، قائلاً: «... فصدقا! أدى عقل الخليل إلى أن مات أزهّد الناس، وجهل ابن المقفع أداه إلى أن كتب أماناً لعبد الله بن علي، فقال فيه: ومتى غدر أمير المؤمنين بعمة عبد الله، فنساؤه طوالق، ودوابه حبس، وعبيده أحرار، والمسلمون في حل من بيعته. فاشتد ذلك على المنصور جداً، وخاصة أمر البيعة، وكتب إلى سفيان بن معاوية المهلب، وهو أمير البصرة من قبله، بقتله، فقتله» (١٥).

المدهش في شخصية الخليل هو إتقانه لأكثر من علم، وتطبيقه بعض العلوم على علوم أخرى بأسلوب علمي مبتكر. فهو أتقن علم الموسيقى، وألّف كتاباً في الإيقاع، «ومعرفته بالانغم ومواقعها أحدث له علم العروض» (١٦)، فارتبط اسمه بعلم العروض، كارتباط الشافعي بعلم أصول الفقه، وأرسطاطاليس بالمنطق (١٧). ولما درس النحو والصرف طبق عليهما قوانين علم العروض فصار لدينا ما يُعرف بأوزان الأفعال. ثم أنه أتقن الرياضيات، وسعى إلى تطبيق قوانينها على اللغة العربية من خلال عمله الرائد «معجم العين».

من عبقرية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

دورانه. وكان الاستعمال في الثلاثي أغلب، فكانت أوضاعه أكثر، لدورانه. وضمّن الخليل ذلك كله في كتاب العين، واستوعبه أحسن استيعاب وأوعاه (٢٠).

بقي أن نشير إلى أن بعض الشعوبيين قد ادعى جهلاً أن العرب عجزوا عن وضع أسس للنحو العربي، حتى قام بذلك الفارسي سيبويه! والرد على هذه السخافات بسيط سهل، وهو أن سيبويه - اسمه الكامل هو: عمرو بن عثمان بن قنبر (توفي سنة ١٨٠ هجرية) - تتلمذ على الخليل، وأخذ عنه النحو واللغة، قبل أن يتمكن من تأليف كتابه المعروف بالكتاب. يقول أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (توفي سنة ٣٦٨ هجرية) في كتابه «أخبار النحويين البصريين»: «والخليل أستاذ سيبويه، وعمامة الحكاية في كتاب سيبويه عن الخليل، وكل ما قاله سيبويه: وسألته، أو قال من غير أن يذكر قائله، فهو للخليل» (٢١).

وقال أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي البصري المعتزلي (المتوفي سنة ٣٢١ هجرية) - وهو من أساطين اللغة العربية - في مقدمة كتابه «جمهرة اللغة»: «وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الضرهودي رضوان الله عليه (كتاب العين)، فأتعب من تصدى لغايته، وعنى من سما إلى نهايته. فالمنصف له بالغلب معترف، والمعاند متكلف. وكل من بعده له تبع، أقر بذلك أم جحد. ولكن رحمة الله ألف كتابه مشاكلاً لثقوب فهمه، وذكاء فطنته، وحدة أذهان أهل دهره» (٢٢).

لهذا نتكلف عناء استعراض منجزات الخليل في العربية في بحث عن عبقرية اللغة الألمانية؟ أولاً للتذكير بما أنجزه الأجداد، لعل هذا يلهمنا كيفية إنقاذ لغتنا وحضارتنا. وثانياً لتأمل كيف قام عالم بمفرده بمحاولة لإحصاء كلمات اللغة العربية. فما أشد حاجتنا اليوم لمواصلة هذه الإنجازات، لإحصاء مفردات العربية وغير العربية من اللغات الأوروبية وغيرها. فبدون الاعتناء باللغة، لن يتمكن

العرب من استعادة إمجادهم. وثالثاً لعقد مقارنة بين ما أنجزه الخليل بمفرده، وما لم تنجزه أجيال متعاقبة من العرب من بعده. وأخيراً للربط والمقارنة بين ما أنجزه الخليل، ثم ما حاول المستشرق أوجست فيشر (١٨٦٥-١٩٤٩م) إنجازه، عندما وضع مشروع إصدار معجم شامل للغة العربية. فبعد أن تخلف العرب عن حضارة العصر، لم يجد التراث العربي ولم تجد اللغة العربية من يهتم بهما إلا من الغربيين.

يقول عبد الرحمن بدوي عن محاولة فيشر هذه: «ولما كان فشر قد شعر بنقص المعاجم العربية، لافتقارها إلى الشواهد في كل حالة، فقد وضع مشروعاً لمعجم عربي شامل يستند في كل معنى ينطوي عليه اللفظ إلى شواهد، خصوصاً من الشعر، والشعر الجاهلي والأموي على وجه التخصيص. وأعلن عن مشروعه هذا لأول مرة في ١٩٠٧، أثناء انعقاد مؤتمر الفيلولوجيين الألمان في بازل ١٩٠٧، ثم في المؤتمر الدولي للمستشرقين الذي انعقد في أثينا ١٩١٢. ومن محاضرات جلسات هذه المؤتمرات يتبين أن هذا المعجم يختص باللغة العربية "القديمة"، أعني لغة الشعر منذ البداية حتى نهاية العصر الأموي، ولغة القرآن، ولغة الحديث، ولغة أقدم المؤرخين، وأنه سيستغل المواد المعجمية التي خلفها المستعربون الأقدمون، وفي المقام الأول: فليشر وتوربيكه. ويقوم المعجم على أساس الشواهد المباشرة من المصادر. وهذه المصادر تشمل: النقوش الجاهلية، الشعراء، القرآن، الحديث، ثم الاستعانة بالمعجم التي نشرها أو خلفها مخطوطة: دوزي، وفليشر، وتوربيكه، وألبرت، وجولدتسيهر.

وبدا أوجست فشر العمل في هذا المعجم في سنة ١٩١٣م بوضع جذاذات مستخرجة من المجاميع والدواوين الشعرية: المعلقات، المفضليات، الأصمعيات، الحماسة لأبي تمام، ديوان الهذليين نشرة كوزجارتن، دواوين الشعراء الستة الجاهليين، دواوين: عبيد بن الأبرص، الملتمس، أوس بن حجر، الخرنق، عامر بن طفيل، السمؤال، لبيد،

الخنساء، مراثي شواعر العرب، الحطيئة، الشماع، عمر بن أبي ربيعة، ابن قيس الرقيات، الأطل، القطامي، الكمي (الهاشميات)، القحيف العقيلي، المتنبي. ثم من كتب الحديث التالية: البخاري (نشرة كرييل Krehl)، وأجزاء من تاريخ الطبري. وقد بلغ عدد الجذاذات حتى ١٩١٨ حوالي اثنتي عشرة ألف جذاذة (راجع مقالة فشر في ZDMG ج ٧٢، ١٩١٨، ص ٢٩٩-٣٠٢).

وكان يُعاونه في هذا العمل: بدرسن (Johs. Pedersen)، وجون لويس أخنوخ (مصري من منفلووط)، ومنير حمدي (مصري من القاهرة)، وأماليا رودنبرج. كذلك اشترك في العمل أرتور شاده Ar-thur Schaade، وأرش بروينلش.

وأنشئ مجمع اللغة العربية في مصر في ١٩٣٢، وعُيّن فشر عضواً فيه، فاستأنف العمل بحماسة في هذا المعجم. وصار يتردد على القاهرة في شتاء كل عام حتى ١٩٣٩. وفي هذه الفترة استعان ببعض العاملين في المجمع. لكن قامت الحرب في ١٩٣٩. ولم يستطع فشر العودة إلى مصر، خصوصاً وقد ألغي تعيينه في عضوية المجمع في ١٩٤٥. لكن ماذا كان مصير المواد التي جمعت ووضعت أمانة لدى مجمع اللغة العربية؟ لقد بددها المجمع، خصوصاً أثناء انتقال داره من شارع قصر العينى إلى شارع مراد بالجيزة، ولم يبق منها إلا القليل الذي حاولت جامعة توبنجن وغيرها من الجامعات الألمانية تصويره، ابتغاء استئناف العمل في هذا المعجم. لكن الأمر وقف عند هذا الحد: فلم يواصل أحد العمل - رغم الدعوى الكثيرة - وضاع الشطر الأكبر الذي صنعه فشر ومساعدوه» (٢٣).

سرة أخري نقول: ليس هذه دعوة للبكاء على واقع الحال، بقدر ما هي دعوة للعمل، وإصلاح الخطأ، واللحاق بركب الحضارة. لقد رأينا كيف استطاع الخليل بمفرده أن يضع معجماً ضخماً هدفه حصر مفردات اللغة العربية، ثم رأينا كيف فكّر المستشرق فيشر في وضع قاموس شامل للغة

من عبقرية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

العربية. فماذا فعلت جامعاتنا العربية المنتشرة في شتى المدن العربية؟ وماذا أنجزت مجتمعات اللغة العربية الموجودة في أكثر من عاصمة عربية؟ وماذا فعل العلماء العرب من أجل إنقاذ اللغة العربية وتطويرها؟

176- معاني أوزان الأفعال في اللغة العربية

ليس يمكن إتقان اللغة العربية بدون الإلمام بهذا الباب. فقد نتج عن تخلف العرب عن حضارة العصر أن صاروا يجهلون أسرار لغتهم وقواعدها، ناهيك عن اللغات الأوروبية الأخرى التي صارت لغات العلم في العصر الحديث. وأدى تخلف مناهج التعليم في عالمنا العربي إلى تخريج جيوش من التلامذة والطلبة لا يعرفون شيئاً عن عبقرية اللغة العربية وأسرارها. وموضوع معاني أوزان الأفعال الذي يمثل أحد أوجه عبقرية اللغة العربية ليس إلا فصلاً قصيراً من فصول علم التصريف. لن نتحدث بإسهاب عن هذا الموضوع، بل سنقتصر على تلخيص معاني بعض الأوزان تلخيصاً قد يلهم القارئ ويشجعه على طلب المزيد من جواهر هذه اللغة العظيمة ودررها.

وضع الخليل نظام الأوزان الصرفية في اللغة العربية. واستعرض سيبويه في مواضع متفرقة من كتابه «الكتاب» موضوع معاني أوزان الأفعال. وجاء المتأخرون فتوسعوا فيه، ونظموه. بيد أن الاهتمام بمباحث التصريف، كعلم مستقل عن النحو، لم يحدث إلا متأخراً. فنحن نرى مثلاً أن الزمخشري المعتزلي (توفي سنة ٥٣٨ هجرية) لم يعالج موضوع معاني أوزان الأفعال في كتابه «المفصل» إلا بصورة عابرة (٢٤). والشئ نفسه نجده في ألفية ابن مالك (٢٥). ويعتبر ابن الحاجب (توفي سنة ٦٤٦ هجرية)، وابن عصفور الإشبيلي (توفي ٦٦٩ هجرية)، فضلاً عن ابن قتيبة (توفي سنة ٢٧٦ هجرية) من أفضل من عالج موضوع معاني أوزان الأفعال.

كان لبعض علماء الغرب فضل ترقيم أهم هذه الأوزان، تسهيلاً لفهمها واستخدامها، ففي المعاجم العربية-

الافرنجية، لا تذكر هذه الأوزان حرفياً، بل يُشار إليها بالأرقام التي وضعت للتمييز بينها.

يقول شوقي ضيف عن الإنجازات العظيمة التي قدمها الخليل للغة العربية: «وأدته بحوثه الواسعة في بنية الكلمة وما لحروفها من أصالة وزيادة إلى أن يُقسّم الكلمات إلى مجردة ومزيدة، ملاحظاً أن المجردة لا تزيد على خمسة، ولا تقل عن ثلاثة. ووضع للأبنية المجردة والمزيدة الميزان الصرفي المشهور. وهو شديد الصلة بميزان تفاعيله في العروض، مما يؤكد أنه هو واضعه. وقد اتخذ فيه من تفعيلة الصيغة الثلاثية المجردة أصلاً هو "فعل". وأضاف إليها لأمّاً في وزن الرباعي المجرد، مثل جعفر، فوزنه فعلل - ولامين في وزن الخماسي المجرد، مثل سفرجل، فوزنه فعلل. أما الكلمات المزيدة، فلاحظ أن حروف الزيادة فيها عشرة، وتجمعها حروف كلمة "سألتمونيها". وقد رأى أن تنطق في الميزان بلفظها، ليمتاز الأصلي من المزيد، فمثلاً أكرم وزنها أفعّل، وتقضّل وزنها تفعّل، واقتطف وزنها افتعل، وانكسر وزنها انفعّل، واستغفر وزنها استفعل، واستفعل - ومثلاً: إكرام وزنها إفعال، واقتطاف وزنها افتعال، وانكسار وزنها انفعال، واستغفار وزنها استفعال، ومصباح وزنها مفعال» (٢٦).

بعض مصطلحات التصريف يحتاج إلى إيضاح موجز، قبل استعراض معاني بعض أوزان الأفعال: ١- **التعدية**: تحويل الفعل من حالة لوزمه الفاعل إلى فعل يحتاج إلى مفعول به. ٢- **المطاوعة**: هي عكس التعدية، أي تحويل المفعول به إلى فاعل. ٣- **الإزالة**: تعني أن يقوم الفاعل بإزالة

أصل الفعل عن المفعول. ٤- **الجعل**: هو أن تجعل المفعول صاحب صفة أو شيء من أصل الفعل. ٥- **الصيورة**: تعني اكتساب الفاعل صفة من أصل الفعل. ٦- **الإصابة**: المقصود بها أن يجد الفاعل المفعول على صفة من لفظ الفعل. ٧-

البلوغ: هو أن يبلغ الفاعل مكاناً، أو زماناً، أو عدداً معيناً. ٨- **المبالغة**: زيادة معنى الفعل وتوكيده. ٩- **الإغناء عن المجرد**: تعني أن يقوم الفعل المزيد بالإغناء عن الفعل المجرد، إذا لم يكن للفعل المزيد فعل مجرد يشاركه في معناه الأصلي. ١٠- **التوجه**: يعني توجه الفاعل إلى ما هو في لفظ الفعل. ١١- **التكثير**: هو تكثير وقوع الفعل. ١٢- **النسبة**: هي أن ينسب الفاعل المفعول إلى ما هو من لفظ الفعل. ١٣- **اختصار حكاية المركب**: أي أن الفعل يختصر عبارة أو قولاً. ١٤- **المشاركة**: بمعنى اشتراك الفاعل والمفعول معاً في الفعل. ١٥- **الانتساب**: هو أن ينتسب الفاعل إلى ما هو من أصل الفعل. ١٦- **التكلف**: هو أن يكتسب الفاعل صفة أصل الفعل. ١٧- **التجنب**: هو أن يترك الفاعل أصل الفعل. ١٨- **الطلب**: هو أن يطلب الفاعل ما هو أصل الفعل. ١٩- **الإيهام**: هو أن يتبنى الفاعل ما هو أصل الفعل. ٢٠- **الاتخاذ**: هو أن يتخذ الفاعل ما هو صفة الفعل. ٢١- **التحول**: هو انتقال الفاعل إلى حال لفظ الفعل (٢٧).

سنقصر حديثنا على عشرة أوزان، هي الأكثر استخداماً للفعل الثلاثي المجرد والمزيد. سنهمل الفعل الرباعي والخماسي، وكذلك مختلف صيغ الفعل، إلا الماضي والمضارع. سنرتب هذه الأوزان على طريقة الغربيين. وهي كما يلي: ١- فعل، ٢- فعل، ٣- فاعل، ٤- أفعال، ٥- تفعّل، ٦- تفاعل، ٧- انفعّل، ٨- افتعل، ٩- افعّل، ١٠- استفعل.

177- فَعَلٌ

يأتي الوزن الأول «فَعَلٌ»، بثلاث صيغ مختلفة، تتحدد من خلال «عين» الفعل، أي الحرف الثاني من الفعل. ذلك أن «فاء» الفعل، و«لامه»، يكونان مفتوحين دائماً. أما «عين» الفعل، فتكون مفتوحة: فَعَلٌ، أو مكسورة: فَعَلٌ، أو مضمومة: فَعَلٌ. **مضارع** «فَعَلٌ» يأتي أيضاً مضموم العين:

من عبقورية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

الله، وكَبَّرَ، أي قال: الله أكبر، وَلَبَّى، أي قال: لبيك اللهم لبيك.

179- فاعلٌ

الوزن الثالث بترقيم الغربيين هو «فاعلٌ»، مضارعه: «يُفَاعِلُ». إذا ورد بمعنى المشاركة، يكون متعدياً، وإذا ورد بمعانٍ أخرى يكون أحياناً لازماً. تعتبر «المشاركة» أهم معاني هذا الوزن. فهذا الوزن يشير إلى اتصال ومشاركة بين الفاعل وبين المفعول. من ذلك مثلاً قولك: كاتب الرجل صديقه، وضارب زيد عمراً، وجالس محمد صديقه. وترد بعض الأفعال بصيغة فاعل، بمعانٍ أخرى غير المشاركة، كقولك: سافر، عاقب، راقب، فاجأ. يقول ابن قتيبة في «أدب الكاتب»: «وقد تأتي فاعلتُ وفعلتُ بمعنى واحد. قالوا: ضعفتُ وضاعفتُ، وبعدتُ وبعادتُ، ونعمتُ وناعمتُ. ويُقال: امرأةٌ منعمةٌ ومناعمةٌ» (٢٣).

180- أفعلٌ

هو الوزن الرابع بترتيب الغربيين. مضارعه: يُفَعِّلُ. ويأتي لازماً ومتعدياً. وألف هذا الوزن هي الوحيدة الأصلية في الأوزان العشرة. فألف «انفعل»، و«افتعل»، و«افعل»، و«استفعل»، هي ألف الوصل، أي أن همزتها لا تكتب. ولنتأمل تأثير حرف الألف على هذا الوزن. فهو تأثير عجيب، قد يكون لتطويل أثر الفعل، أو تقصيره، أي للتعدية أو المطاوعة، أي جعل اللازم متعدياً أو المتعدى لازماً.

التعدية: أجلسته فجلس، أخرجته فخرج، أذهبته فذهب، أفهمته ففهم. والجملة الأخيرة توضح أن الفعل إن كان مجرد الثلاثي متعدياً إلى مفعول واحد، صار مع صيغة أفعل متعدياً إلى مفعولين: أفهم محمدٌ أحمدَ المشكلة، فهم أحمدُ المشكلة.

المطاوعة: كقولك: فطّر الرجل الصائم، أفطّر الصائم - بشّره: نقل إليه خبراً ساراً، فأبشر، أي فرح. ويشترك هذا الوزن مع الوزن السابع «انفعل»، والثامن «افتعل» في هذا المعنى، أي تحويل بعض الأفعال المتعدية إلى لازمة، مثل: هزم الرجلُ صديقه، انهزم الصديق - وحرقتَه

فمن المعاني الرئيسية للشدة في اللغة العربية «التكثير». ولذلك فهي تستخدم مثلاً في أسماء الحرف، مثل: نجار، ورسام، ووراق. بل تأمل استخدامها في «سراق!» فالفارق بين «سارق» وبين «سراق»، هو أن السراق لصٌ محترف، في حين أن «السارق» ربما لم يسرق إلا مرةً واحدة.

المعنى الرئيسي لـ «فعلٌ» هو «التكثير». فاستخدام الوزن الأول «فعل» يرد للإشارة إلى مرة واحدة، وتحويل الوزن الأول إلى الوزن الثاني يفيد تكثير وقوع الفعل. ف: قطع، كسر، جرح (على وزن فعل) تشير إلى وقوع الفعل مرةً واحدة. أما: قطع، كسر، جرح، فتعني التكثير والتكرار من وقوع الفعل.

وقد يفيد هذا الوزن معنى «التعدية»، أي تحويل الفعل اللازم إلى متعدٍ، أو الفعل المجرد المتعدى إلى مفعول واحد إلى متعدٍ إلى مفعولين. فنحن نقول: فرحتهُ ففرح، وحملتهُ المسؤوليّة فحملها.

ومن معاني «فعلٌ» ما يُعرف بـ «النسبة»، مثل: كذب القاضي شهادتك، أي نسبها إلى الكذب، أو: كفر الناسُ زيداً، أي نسبوه إلى الكفر.

اللزاقة هي أيضاً أحد معاني هذا الوزن، مثل: قشرتُ التفاحة، أي أزلت قشرتها، أو: قذيتُ العين، أي أزلت عنها القذى. بل انظر إلى استخدام هذا الوزن مع «مرضٌ» أي صار مريضاً، أما الفعل «مرضٌ»، فيعني: داوى فلاناً واعتنى به في مرضه، وقد يعني: صيره مريضاً. قال سيبويه: «أمرضته: أي جعلته مريضاً. ومرضته: أي قمت عليه ووليته» (٢٢).

«التوجه» هو أحد المعاني اللطيفة لهذا الوزن، كقولك: شرق، غرب، فوز، بمعنى توجه نحو الشرق، الغرب، المفازة (الصحراء). وهذا الاستخدام من الاستثناءات القليلة التي يرد فيها «فعلٌ» لازماً.

ومن المعاني الدقيقة لهذا الوزن «اختصار حكاية المركب»، مثل: سبَح، أي قال: سبحان الله، وهلّل، أي قال: لا إله إلا

«يُفَعِّلُ». ويكون دائماً لازماً، أي لا يحتاج إلى مفعول به. ويقتصر معنى هذا الوزن على وصف الفاعل بالصفة التي يشير الفعل إليها، أو ما يُسمّى بـ «أفعال الطبائع» (٢٨). والواقع أن بناء «فعلٌ» يمثّل أحد أوجه عبقورية اللغة العربية، لأنّه بناء فعل يشير إلى صفة الفاعل. من الأمثلة التي أوردها سيبويه لـ «فعلٌ»: قَبِحَ يَقْبِحُ، وَسَمَ يُوَسِّمُ، جَمَلَ يَجْمَلُ، مَلَحَ يَمْلَحُ، نَظَفَ يَنْظِفُ، طَهَرَ يَطْهَرُ، صَغَرَ يَصْغُرُ، عَظَمَ يَعْظُمُ، كَثُرَ يَكْتَثُرُ (٢٩).

صيغة «فعلٌ» تأتي لازمة ومتعدية. ومضارعها: يَفْعَلُ، أو يَفْعِلُ، أو يَفْعُلُ. يقول عصام نور الدين: «وقد جاء «فعلٌ» لجميع المعاني تقريباً، لأنه أخفُ أبنية الأفعال» (٣٠). من أمثلة المتعدي من هذه الصيغة: ضربه يُضْرِبُهُ، قتله يُقْتَلُهُ. ومن أمثلة اللازم من الصيغة نفسها: جلس يجلس، قعد يقعد، مزح يمزح.

أما الصيغة الثالثة والأخيرة لـ «فعلٌ»، فهي «فعلٌ». وتأتي لازمة ومتعدية، ولازماً أكثر من متعدديها، والمضارع منها هو: «يَفْعُلُ» أو «يَفْعِلُ». يقول ابن الحاجب في شافيته عن وزن «فعلٌ»: «تكثر فيه العلل والأحزان وأضدادها» (٣١). من أمثلة المتعدي من «فعلٌ»: شربه يُشْرِبُهُ، علمه يُعْلِمُهُ. ومن أمثلة اللازم: فرح يفرح، وكذلك: مرض يمرض. ويرغم هذا التنسيق العجيب، والتنظيم اللطيف، إلا أن العجب كل العجب لا يبدأ إلا بعد الوزن الأول. فإعجاز اللغة العربية وعبقريتها يتجليان للعيان من خلال بقية الأوزان وما يربطها من علاقات متداخلة.

178- فَعْلٌ

«فَعْلٌ» هو الوزن الثاني بترقيم الغربيين. مضارعه: «يُفَعِّلُ». يأتي أكثره متعدياً وقليله لازماً. هذا الوزن يجسّم عن حق أحد أوجه عبقورية اللغة العربية. وليتأمل القارئ الأثر العجيب الذي تتركه «الشدة» في هذا الوزن. فالفارق بين الوزن الأول وبين الوزن الثاني هو مجرد شدة فوق عين الفعل، ولكن ما أدراك ما الشدة؟

من عبقورية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

فاحترق.

الإزالة: أقديت الماء، أي أزلت عنه القذى (التراب)، أجزت المظلوم، أي أزلت عنه الجور، أعجمت الكتاب، أي أزلت عجمته (إبهامه). وذكر ابن قتيبة أن صيغة أفعال قد تأتي مضادة لفعل، قائلا: «... وأقديت العين، ألقيت فيها القذى، وقذيتها، نظمتها من القذى» (٣٤).

الجعل: يقول ابن عصفور: «فالجعل على ثلاثة أوجه: أحدها أن تجعله يفعل، كقولك: أخرجته وأدخلته، أي: جعلته خارجاً وداخلاً. والثاني أن تجعله على صفة، كقولك: أطرده، جعلته طريداً. وثالث أن تجعله صاحب شيء، نحو: أقبرته، جعلت له قبراً» (٣٥).

الإصابة: هي أحد المعاني الهامة لوزن «أفعل»، وهي من المعاني الرئيسية للوزن العاشر «استفعل». والواقع أن هذا المعنى يمثل بدوره أحد أوجه عبقورية اللغة العربية. فالفعل إذا ركب على صيغة أفعال أو استفعل، أغنى عن كلمات وأفعال تستخدم في اللغات الأوروبية للتعبير عن المعنى نفسه. يقول ابن قتيبة: «أتيت فلاناً، فأحمدته، وأذمته، وأخلفته، أي وجدته محموداً ومذموماً ومخلاًفاً للوعد. وأتيت فلاناً، فأبخلته، وأجبنته، وأحمقته، وأنوكته (الأنوك: الأحمق)، وأهوجته (الأهوج: الطويل الأحمق)، إذا وجدته كذلك، وأقهرته إذا وجدته مهوراً» (٣٦).

الصيورة: أورق الشجر: صار ذا ورق. أثمر الشجر: صار ذا ثمر. يقول ابن قتيبة: «وألحم القوم، وأشحموا، وألبنوا، وآتمروا، وألبؤوا (اللبأ: أول اللبن في النتاج)، وأقثؤوا (القثأ: الخيار)، وأبطخوا: صار ذلك عندهم كثيراً» (٣٧).

البلوغ: أمصر: وصل إلى مصر ودخلها. أعرق: بلغ العراق ودخلها. أصبحنا: بلغنا الصباح. أمسينا: بلغنا المساء. أثلت وأربع، وأتسع: بلغ ثلاثة وأربعة وتسعة.

اللطيف: في وزن «أفعل» هو وروده أحياناً بمعنيين متضادين. يقول ابن قتيبة: «أشكيت الرجل: أحوجته إلى الشكاية،

وأشكيتته: نزعته عن الأمر الذي شكاني له. وأطلبت الرجل: أحوجته إلى الطلب... وأطلبته: أسعفته بما طلب. وأفزعت القوم: أحللت بهم الفزع،... وأفزعتهم: إذا فزعوا إليك فأعنتهم. وأودعت فلاناً مالاً: دفعته إليه وديعة، وأودعته: قبلت وديعته. أسررت الشيء: أخفيته وأعلنته» (٣٨).

181- تَفَعَّلَ

الوزن الخامس بترتيب الغربيين هو «تَفَعَّلَ». مضارعه: يَتَفَعَّلُ. غالباً ما يأتي لازماً. لعل أهم ما ينبغي ذكره في هذا الوزن هو تأثير حرف التاء فيه. فالتاء هنا، وكذلك في الوزن السادس «تَفَاعَلَ»، يمكن تسميتها تاء المطاوعة، لأنها تجعل المتعدي لازماً، أو المتعدي لفعلين، متعدياً لفعل واحد، من الوزنين: الثاني «فَعَلَ»، والثالث «فَاعَلَ». ولنستعرض أهم معاني هذا الوزن:

المطاوعة: يقول ابن عصفور عن معاني هذا الوزن: «أحدها أن تكون مطاوعة لـ "فَعَلَ"، كقولك: كسرتَه فتكسر، وقطعته فتقطع. والمطاوعة أن تريد من الشيء أمراً ما فتبلغه» (٣٩). هناك إذن علاقة وثيقة بين الوزن الثاني «فَعَلَ»، وبين الوزن الخامس «تَفَعَّلَ»، هي علاقة التعدية والمطاوعة. من ذلك أيضاً: علمته فتعلم، حملته فتحمل، سلمته فتسلم.

الصيورة: نحو: تنصرت تهود، تشيع، تحنّف. والملاحظ هنا أن الأصل في هذا الوزن هو المطاوعة. فالأفعال المذكورة هنا هي بدورها مطاوعة للوزن الثاني: نصرتَه فتنصرت، هودتَه فتهودت، شيعه فتشيع، حنّفه فتحنّف.

التكلف: نحو: تشجع، تحلم، تصبر، تجلد تكرم. قال سيبويه: «إذا أراد الرجل أن يدخل نفسه في أمر، حتى يضاف إليه، ويكون من أهله، فإنك تقول: تفعل، وذلك تشجع، وتبصر، وتحلم، وتجلد، وتمرأ، وتقديرها تمرع، أي صار ذا مروءة» (٤٠).

الملفت للنظر: هنا هو اشتراك هذا الوزن «تَفَعَّلَ» مع الوزن العاشر «اسْتَفَعَلَ» في بعض المعاني. يقول عصام نور الدين:

«نَجَزْتُهُ، أي استنجزته، أي طلبت نجزه، أي حضوره والوفاء به. (...) استعظمته، وتعظمته، أي اعتقدت فيه أنه عظيم، واستكبر وتكبر، أي اعتقد في نفسه أنها كبيرة، ومنه: تبين واستبان، وتفهم واستفهم، وتبصر واستبصر، وتأمل واستأمل» (٤١).

182- تَفَاعَلَ

الوزن السادس بترتيب الغربيين هو «تَفَاعَلَ». مضارعه: يَتَفَاعَلُ. يأتي أكثره لازماً وقليله متعدياً. علاقة هذا الوزن بالوزن الثالث «فَاعَلَ»، مثل علاقة الوزن الثاني «فَعَلَ» بالوزن الخامس «تَفَعَّلَ»، فيما يخص التعددي والمطاوعة. فالوزن «تَفَاعَلَ» هو مطاوع «فَاعَلَ». وإليك بأهم معاني هذا الوزن:

المطاوعة: يأتي الوزن تفاعل مطاوعاً لـ: فاعل، كقولك: باعدته فتباعد، ناولته فتناول. وبصفة عامة فإن حرف التاء المتصدر لـ (تفاعل)، والذي يمكننا تسميته «تاء المطاوعة»، يحدث تأثيراً واضحاً في هذا الوزن. وقد لاحظ اللغويون العرب الفارق بين «فاعل» و«تفاعل». فقالوا إن الأساس في الوزن «فاعل» أن يكون هناك فاعل أساسي ينطلق الفعل منه. أما «تفاعل»، فتشير إلى فاعلين أو أكثر.

المشاركة: هذا المعنى موجود أصلاً في الوزن الثالث «فاعل»، وإن كان يشير أكثر إلى نوع من الاتصال بين الفاعل والمفعول. أما في حالة الوزن السادس، فنلاحظ أن الفاعل يكون أكثر من شخص. فانت تقول: كاتب محمد عمراً، بفاعل ومفعول. ولكنك تقول: تكاتب محمد وعمرو. أو قاتل فلان فلاناً، بصيغة فاعل. وتقاتل فلان وفلان، بصيغة تفاعل. وفي حالة الفعل المتعدي لمفعولين، يصبح متعدياً لمفعول واحد، مثل: نازع محمد أحمد الثوب، تتحول إلى: نازع محمد وأحمد الثوب. أو: جاذب أحمد محمداً الحديث، تجاذب أحمد ومحمد الحديث.

الإيهام: يقول ابن قتيبة: «وتأتي تفاعلت بمعنى إظهارك ما لست عليه، نحو:

من عبقورية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

تعاقلت، وتجاهلت، وتعاميت، وتعاشيت، وتعارجت، وتغافلت، وتخازرت (= ضيقت أجفاني لأحد النظر) (٤٢). والملاحظ هنا هو الفارق بين الوزن الخامس وبين الوزن السادس. فالوزن الخامس «تَفَعَّل» يشير إلى تكلف صفة معينة. أما الوزن السادس، فيشير إلى التظاهر بهذه الصفة. يقول ابن قتيبة: «وليس تَفَعَّلْتُ في هذا بمنزلة تَمَاعَلْتُ. ألا ترى أنك تقول: تحالمت، فالمعنى أنك أظهرت الحلم ولست كذلك. وتقول: تحلّمت، فالمعنى أنك التمتست أن تصير حليماً» (٤٣).

183- انْفَعَلَ

الوزن السابع بترتيب الغربيين هو: «انْفَعَلَ». مضارعه: يَنْفَعُلُ. هذا الوزن هو وزن المطاوعة الأكبر. يقول ابن عصفور عنه: «انْفَعَلَ: ولا يكون متعدياً أبداً. وإنما يجيء في كلام العرب للمطاوعة ... والمطاوعة فيها تكون بوجهين: إما بأن تريد من الشيء أمراً ما، فتبلغه بأن يفعل ما تريده، إن كان ممماً يصح منه الفعل. وإما بأن يصير إلى مثل حال الفاعل الذي يصح منه الفعل، وإن كان لا يصح الفعل منه. فأما ما يطاوع بأن يفعل فعلاً تريده منه، فنحو قولك: أطلقتَه فانطلق. ألا ترى أنه هو الذي فعل الانطلاق والانصراف بنفسه، عند إرادتك إياهما منه، أو بعثك إياه عليهما؟ وأما ما تبلغ منه مُرادك بأن يصير إلى مثل حال الفاعل الذي يصح منه الفعل، فنحو قولك: قطعتُ الحبلَ فانقطع، وكسرتُ الحُبَّ فانكسر. ألا ترى أن الحبلَ والحُبَّ لا يصحُّ منهما الفعل، لأنه لا قدرة لهما؟ فإنما أردت ذلك منهما، فبلغته بما أحدثته أنت فيهما، لا أنهما توليا الفعل، لأن الفعل لا يصحُّ من مثلهما. (...) ... ولا يكاد يكون «فَعَلَ» منه إلا متعدياً، حتى تمكن المطاوعة والانفعال. ألا ترى أن: قطعته، وكسرتَه، متعديان؟» (٤٤).

يشتري الوزن السابع «انْفَعَلَ» والوزن الثامن «افتعل» في معنى المطاوعة. وهنا ينبغي التمييز بين الأوزان التي تطاوعُ

فالوزن السابع قد يطاوع الوزن الأول أو الرابع. ذكر ابن قتيبة: «تقول: كسرتُه فانكسر، وحسرتُه فانحصر، وحطمتُه فانحطم، وصرفتُه فانصرف. ومنه ما يأتي على افتعل. قالوا: عزلتُه فاعتزل، ورددتُه فارتد، وعددتُه فاعتد، وكلتُه فاكتال. ومنه ما جاء فيه هذان جميعاً. قالوا: شويتُه فانشوى واشتوى، هذا قول سيبويه. وقال غيره: لا يُقال اشتوى، لأن المشتوى هو الشاوي، واشتوى فعله. وقالوا: غممتُه فانغم واعمتم. قال سيبويه: وليس هذا مطرداً في كل شيء. تقول: طردتُه فذهب، ولا تقول: انطرد ولا اطرد. وتقول: كسرتُه فتكسر، وعشيتُه فتعشى، وغذيتُه فتغذى» (٤٥).

184- افْتَعَلَ

الوزن الثامن بترتيب الغربيين هو «افْتَعَلَ»، مضارعه: يَفْتَعُلُ. يأتي لازماً ومتعدياً. اللازم مثل: احترق البيت. والمتعدى نحو: اشتريت بيتاً جديداً. يشترك هذا الوزن مع الوزن السابع في المطاوعة، كما أشرنا سابقاً. أما أهم معانيه، فهي:

المطاوعة: من الوزن الأول «فعل» المتعدى لمفعول واحد، نحو: شويتُه فاشتوى، ونقلته فانقل، وحرقتَه فاحترق. أو من «فعل» المتعدى إلى مفعولين، مثل: كسى محمد الرجل ثوباً، تُصبح: اكتسى الرجل ثوباً. وتكون المطاوعة أحياناً للوزن الرابع «أفعل»، مثل: ألهبتَه فالتهب، أنصفته فانتصف، أو للوزن الثالث «فاعل»، مثل: باعدته فابتعد. أو للوزن الثاني «فعل»، كقولك: قريته فاقترب، عدلته فاعتدل.

الإتخاذ: يشرح ابن قتيبة هذا المعنى، قائلاً: «تأتي افتعلتُ بمعنى اتَّخذتُ ذلك. تقول: اشتويتُ، أي اتَّخذتُ شواءً. وشويتُ: أنضجتُ. وكذلك اختيرتُ وخبزتُ، واطبختُ وطبختُ، واذبحتُ وذبحتُ. فذبحتُ: قتلتُ، واذبحتُ: اتَّخذتُ ذبيحةً. وحبسته كقولك: ضبطته، واحتبسته: اتَّخذته حبساً» (٤٦). وقد أورد فخر الدين قباوة المزيد من الأمثلة لمعنى الاتخاذ،

حيث يقول: «... التحى الشاب، أي اتَّخذ لحية. وارتشى الموظف: اتَّخذ رشوة. ومن ذلك: احترف، اعتذر، اختتم، اختبز، اعتاد، اکتال، امتطى، اشتوى، ادوى» (٤٧).

التصرف والاجتهاد: يقول عصام نور الدين موضحاً شرح الزمخشري لهذا المعنى الدقيق: «... نحو: كسب، أي أصاب الشيء على أي وجه كان، سواء بولغ فيه أم لا. واكتسب: أي اضطرب واجتهد في تحصيل الإصابة بأن زاول أسبابها. فإن في معنى اكتسب زيادة ليست موجودة في كسب. ولهذا كان الزمخشري أكثر دقة من ابن الحاجب، حين قال: "إن افتعل تأتي للزيادة على معناه، كقولك: اكتسب في كسب، واعتمل في عمل". ومن هذه الزاوية نظر التصريفيون إلى قول الله سبحانه وتعالى: «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت»، أي لها ما كسبت من الحسنات، سواء اجتهدت في الخير أم لا، فإنه لا يضيع عليها، وعليها ما اكتسبت من السيئات التي اجتهدت وبالغت في تحصيلها، والله أعلم. وفيه إشارة إلى لطف الله تعالى بخلقه» (٤٨).

185- افْعَلَ

الوزن التاسع في ترتيب الغربيين هو: «افْعَلَ»، ومضارعه: يَفْعَلُ. هو وزن الألوان في المقام الأول. ولا يأتي إلا لازماً. من ذلك مثلاً: احمر، اصفر، ابيض، اسود. ولكن أيضاً: اعور، احول، اعوج.

186- اسْتَفْعَلَ

الوزن العاشر بترتيب الغربيين هو: «اسْتَفْعَلَ»، ومضارعه: يَسْتَفْعَلُ. يأتي لازماً ومتعدياً. وهو الوزن الذي يبرز عبقورية اللغة العربية بجلاء. أول ما ينبغي التنبيه إليه هنا هو أن وزن «اسْتَفْعَلَ» يبنى من الفعل المجرد الثلاثي المتعدى واللازم جميعاً، مثال المتعدى هو: استعلم من علم، ومثال اللازم: استصغر من صغر. وإليك بأهم معاني هذا الوزن العجيب:

الإصابة: يقول سيبويه: «تقول: استجدتُه أي أصبتُه جيداً، واستكرمته أي أصبتُه

من عبقرية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

187- ملاحظات

كريمًا، واستعظمتُهُ أي أصبته عظيمًا، واستسمنتُهُ أي أصبته سمينًا» (٤٩). الملاحظ هنا أن هذه الأفعال مشتقة من أفعال لازمة، وهي: جاد، وكرم، وعظم، وسمن. والإصابة تعني الحالة التي يجدُّ الفاعل فيها المفعول. يقول عصام نور الدين: «للإصابة على صفة: أي للاعتقاد أنه على صفة أصله، نحو: استكرمته، أي اعتقدت فيه الكرم. واستسمنتُهُ، أي عددته ذا سمن. واستعظمتُهُ، أي عددته ذا عظمة. واستجدته، أي أصبته جيدًا. واستخففته واستثقلته، إذا وجدته كذلك» (٥٠).

الطلب والسؤال: هذا المعنى ينبغي أن يهّم المترجمين بصورة خاصة، لأن فهمه واستيعابه يجعل ترجماتهم أكثر جودة وفصاحة. يقول ابن قتيبة: «وتأتي استفعلت بمعنى سألته ذاك. تقول: استوهبته كذا، أي سألته هبته لي. واستعطيته: سألته العطيّة. واستعبتته: سألته العتبي (= الرضى). واستعفيتته: سألته الإعفاء. واستفهمته: سألته الإفهام. واستخبرته: سألته أن يخبرني. واستخرجته: سألته أن يخرج أو يخرج ما عنده. وكذلك استنزلته واستبشرته واستخففته، أي طلبت خفته، واستعملته: طلبت إليه العمل. واستعجلته: طلبت عجلته» (٥١). ومن ذلك أيضًا: استغضر، فنحن نقول: استغضرننا الله، بدلًا من: طلبنا أو سألتنا أو دعونا الله أن يغفر لنا.

التحوّل: والتحوّل قد يكون حقيقياً أو مجازاً. فالحقيقي مثل: استحجر الطين، أي صار حجراً. والمعنى المجازي مثل: استأسد: أي صار كالأسد. ومن ذلك أيضاً: استنسر العصفور: صار كالنسر. استنوق الجمل: صار كالناقة (أنثى الإبل). استتيست الشاة: صارت كالتيس. والتيس: ذكر المعز والوعول والظباء إذا أتت عليه سنة، والشاة: الواحدة من الضأن والمعز والظباء والبقر والنعام وحمر الوحش. وذكر ابن قتيبة مثال: «استنسر البُغاث» (٥٢)، والبُغاث: ضعاف الطير.

بقيت لدينا معان ذات أهمية بالغة في العربية، فهي تدلّ على الإيجاز الكبير الذي تتميز به هذه اللغة. وهو إيجاز في المضردات أو التراكيب. أمّا الإيجاز في المضردات، فيظهر جلياً في التعدية، والمشاركة، والطلب. فالفعل المجرد "خرج" بنقله إلى "أخرج" يُصبح متعدياً، فيعبر عن معنى جديد، غالباً ما يقتضي في اللغات الأجنبية فعلاً آخر. وكذلك "قتل"، و"سبق"، بنقلهما إلى "قاتل"، و"تسابق"، يُصبح في كل منهما معنى المشاركة، ويعبران عن معنيين جديدين. ومثل ذلك يُقال في "فهم"، إذا نُقل إلى "استفهم"، فهو يعبر عن طلب الفهم، وهو معنى جديد يقتضي فعلاً خاصاً. ولولا هذه الصيغ المتضمنة للمعاني الخاصة، لاحتجنا إلى آلاف الأفعال الأخرى.

وأما الإيجاز في التراكيب: فتراه في سائر المعاني، كالطواوعة، والجعل، والصيرورة، والبلوغ، والمبالغة، والتكثير، واختصار حكاية المركب، والتحول، والاتخاذ، والإيهام، والتجنب، والإزالة، والإصابة، والنسبة، والانتساب، والتوجه، والتكلف. ذلك أن كل واحد من هذه المعاني قد يقتضي في اللغات الأعجمية كلمتين أو أكثر. وهو في العربية تضمه كلمة واحدة. فقولك: انقطع الحبل، أي أصبح مقطوعاً. وأقبرت الشهيد: جعلته صاحب قبر. وأثمر الشجر: صار ذا ثمر. وأعرق الرجل: بلغ العراق. وأجهد العامل نفسه: جهدها جهداً مبالغاً فيه. وصفق الطفل: صفق باطن كفه بباطن الأخرى مراراً. ولبى الحاج: قال لبيك اللهم لبيك. واستحجر الطين: صار حجراً. واختتم الشاب: اتخذ في إصبه خاتماً. وتغافل الأستاذ: تظاهر بالغفلة. وتحرّج الصديق: ترك الحرج. وأنت ترى أن هذه الصيغ، بمعانيها المحددة، أغنت عن التراكيب المعقدة المطولة، فكان فيها إيجاز بالغ. أضف إلى هذا أن كثيراً من معاني الأفعال المزيدة هو قياسي مطرد، ييسر للأديب والباحث توليد كلمات قياسية جديدة تناسب المعاني التي تراوده، ويعبر عنها

استعرضنا جانباً من جوانب عبقرية اللغة العربية، وهو معاني بعض أبنية الأفعال. إن دراسة هذا العلم والاعتناء به لن تؤدي بنا إلى إتقان اللغة فحسب، بل سترينا أيضاً الأبعاد التي يمكننا أن نخوضها لإغناء هذه اللغة، وهي أبعاد تبدو أحياناً وكأنها بلا نهاية. ولننظر مثلاً إلى تطبيق هذا الميزان الصرفي على فعل مجرد ثلاثي ك «كتب». فمن الأوزان العشرة التي ذكرناها هنا يصير لدينا: ١- كتب، ٢- كتّب، ٣- كاتب، ٤- أكتب، ٥- تكتب، ٦- تكاتب، ٧- انكتب، ٨- اكتب، ٩- اكتب، ١٠- استكتب. يقيناً نحن لا نستخدم كل هذه الأوزان مع كل فعل، ولكن الإلمام بهذا الميزان يجعلنا نسبر أغوار اللغة، ونفهم أسرارها، ونتقن التعامل بها، فنستخدم من الأوزان ما هو شائع، ونهمل ما هو غير مستعمل.

نجدد الإشارة إلى أن بعض الأوزان قد يتفق في المعنى مع وزن آخر، إلا أن المدقق يدرك دائماً أيهما أفصح، أو أيهما أنسب. وقد سبق أن أوردنا ملاحظة الزمخشري عن الفرق بين كسب واكتسب. ونكمل هذه الملاحظة باستعراض الفرق بين الوزن الأوّل وبين الوزن الرابع من خلال بعض الأفعال. يقول فخر الدين قباوة: «... فقولك: سقيت الضيف وأسقيته بمعنى واحد، إلا أن أسقيته فيه مبالغة وتوكيد. وكذلك وقفت الهارب وأوقفته. ومثل ذلك ما ترى بين: وفى وأوفى، وحب وأحب، وواعد وأوعد، وحس وأحس، وذعن وأذعن، وشكل وأشكل، وومض وأومض، وطاف وأطاف، وضاء وأضاء، ونهر وأنهر، ووصل وأوصل، ومض وأمض، وسعر وأسعر، وحرق وأحرق، وغمض وأغمض، وشعل وأشعل، وسمح وأسمح، ونماه وأنماه، وحقق وأحقق، وجهد وأجهد» (٥٣).

نختم حديثنا عن معاني أبنية الأفعال في اللغة العربية بتعليق للدكتور فخر الدين قباوة على عبقرية نظام أبنية الأفعال في اللغة العربية، حيث يقول: «وإذا أسقطنا من هذه المعاني كلها الإغناء عن المجرد،

من عبقرية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

بدقة وإحكام، دون حاجة إلى اختراع صيغ جديدة من أصول غريبة» (٥٤).

188- معاني سوابق الأفعال في الألمانية

تعود قصة هذه الدراسة إلى كتاب للباحث الألماني هارالد فاينريخ **Harald Weinrich** عن قواعد اللغة الألمانية عنوانه: **Textgrammatik der deutschen Sprache** "قرأت فيه فصولاً شيقة عن معاني سوابق الأفعال في اللغة الألمانية، وبعد تدقيق وتأمل، أدركت أن سوابق الأفعال في اللغة الألمانية تشبه في بعض جوانبها معاني أوزان الأفعال في اللغة العربية. فشرعتُ أبحث في الموضوع واستكشفت الجديد فيه.

تعددت دوافعي لاقتحام هذا الميدان. فأولاً ما زالت اللغة الألمانية غريبة في عالمنا العربي، بل إن الشائع عنها أنها لغة معقدة جداً. ولنتذكر طه حسين في معاركه مع العقاد، عندما كان يرجع غموض أسلوبه وتعقيده إلى اعتقاده بأنه تعلم اللغة الألمانية **وثانياً**؛ نحن متأخرون جداً في مجال الدراسات اللغوية بصفة عامة، ناهيك عن الدراسات المقارنة. **وثالثاً**؛ كيف نستطيع تعلم اللغات الأجنبية وإتقانها، إذا كنا نجهل لغتنا الأم؟ فقامت لذلك باستعراض بعض معاني أوزان الأفعال في اللغة العربية. **ورابعاً**؛ إن حركة نشر القواميس اللغوية

شبه متوقفة في عالمنا العربي. فمجمع اللغة العربية في مصر أصدر القاموس الصغير، ثم الوسيط، قبل سنوات عدة. ولكن القاموس الكبير لم يكتمل بعد، بالرغم من أن عمر المشروع يزيد على نصف قرن. هذا ناهيك عن عدم تطوير القاموسين الآخرين. **وخامساً**؛ إن أكبر قاموس ألماني-عربي، وهو قاموس **Götz Schregle** الذي ساهم في تأليفه أساتذة مصريون أفاضل، لا يلبي حاجة الباحث والمتعلم، وصار قديماً جداً. **وسادساً** لأنني أعتقد أنه من العار على العرب والألمان عموماً التقاعس عن إصدار قواميس ألمانية-عربية جيدة في ظل تطور علاقات

العالم العربي بأوروبا الألمانية (ألمانيا والنمسا وسويسرا)، وفي ظل وجود أعداد كبيرة من العرب في ألمانيا، وفي ظل إنشاء الجامعة الألمانية في مصر مؤخراً. **وسابعاً**؛ لإدراكي أهمية الترجمة في حياة الأمم، وخاصة في عصرنا هذا. وبالطبع لا ترجمة بلا قواميس جيدة. **وثامناً**؛ لتطلي لتطوير القاموس الألماني-العربي الحالي، إذا سمحت الظروف بذلك.

نظراً لكثرة سوابق الأفعال في اللغة الألمانية وتعددتها، فقد رأيتُ أن أحصر دراستي في حروف الجر الألمانية التي ترد كسوابق أفعال، وذلك في هذه المرحلة من البحث على الأقل.

قامت أولاً بالإشارة إلى المعاني الرئيسية لسوابق الأفعال في اللغة الألمانية، كما أوردها هارالد فاينريخ-**Harald Weinrich** الذي يعمل حالياً أستاذاً في باريس. ثم استعرضت معاني هذه الحروف بالتفصيل، وأتبعته الشرح بأمثلة توضح معاني حروف الجر عندما ترد مستقلة، كحروف جر أو كظرف. وبعد ذلك أوضحت تأثيرها على الأفعال من خلال استعراض بعض الأفعال الألمانية المجردة، ثم المسبوقة بحروف الجر. ولكني لم أسترح لعدم وجود أمثلة توضح هذه الأفعال المجردة والمزيدة. فقامت بتسجيل الأمثلة التوضيحية بالألمانية، ثم ترجمتها إلى العربية.

مراجعتي الرئيسية في هذه الدراسة هي قواميس **Duden** باعتبارها المرجعية الأم في اللغة الألمانية. وقد استعنت بـ **Duden** الصغير الذي يُسمى: **Das Bedeutungswörterbuch** - ثم بـ **Duden Deutsches Universal** الوسيط المسمى: **Wörterbuch der deutschen Sprache**. وكنت أراجع أحياناً لـ **Du den Das grosse Wörterbuch der deutschen Sprache**. هذا فضلاً عن كتاب البروفيسور فاينريخ المشار إليه أعلاه. وبالطبع كنت أعود أحياناً إلى قاموس **Götz Schregle** الألماني-العربي.

تنوعت الأمثلة التي استعنت بها بحسب

المصدر الذي أخذت عنه. فمعظم الأمثلة التوضيحية أخذتها من **Duden** الصغير والوسيط. والقليل من الأمثلة مأخوذ من **Duden** الكبير، أو من كتاب البروفيسور فاينريخ أو من قاموس **Schregle**. واضطرت عندما استدعي الأمر إلى تأليف بعض الأمثلة التوضيحية. أما الأمثلة الخاصة بمعاني حروف الجر، فمأخوذة من **Duden** الوسيط.

تسهيل لاستخدام الدراسة ومراجعتها ارتأيتُ ترقيم الأفعال ترقيماً مستقلاً عن ترقيم الأمثلة التوضيحية، وترقيم السوابق. فكانت الحصييلة: ٢٤١ فعلاً مجرداً ومزيداً، ١٦٦٢ مثلاً، و١٤ سابقة فعل. الأفعال المجردة عندما تتكرر لا يُشار إليها إلا بترقيمها الأول، أي أنها لا تُعد أكثر من مرة. من ذلك مثلاً فعل **gehen**: ذهب، فهو يحمل الرقم (١٢٧) عندما ورد في سياق الحديث عن **ein**، ويحمل الرقم نفسه عند استعراض معنى **mit**، أو معنى **nach** أو معنى **über**، إلخ.

أردت في هذا البحث توضيح أن اللغة الألمانية لا تختلف كثيراً عن العربية فيما يخص التراكيب بالذات. فالفعل الواحد يمكن إضافة سوابق متعددة إليه تغير معناه مع كل سابقة. وهذا نظام يثري اللغة ويغنيها، مثلما يثري العربية نظام أبنية الأفعال. ولننظر مثلاً إلى فعل مثل **nehmen** بمعنى: أخذ - وكيف يتغير معناه تبعاً للسابقة التي تدخل عليه:

نزع؛ نقص، قل. **abnehmen**:

استقبل؛ لقط. **aufnehmen**:

أخرج؛ استثنى. **ausnehmen**:

تناول؛ استولى على. **einnehmen**:

اصطحب، أخذ معه. **mitnehmen**:

أخذ مرة أخرى. **nachnehmen**:

اقتبس، نقل؛ تولى. **übernehmen**:

قام بـ. **unternehmen**:

قصد، نوى؛ أحدث. **vornehmen**:

زاد؛ ازداد. **zunehmen**:

189- هوامش مقدمة عبقرية

اللغة الألمانية - نموذج معاني

من عبقورية اللغة العربية - نموذج معاني أوزان الأفعال

سوابق الأفعال

- (١) انظر: الدكتور محمد **عمارة**، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق وتقديم الدكتور محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٣، المجلد الثاني، ص ٣٢٠، ما بعدها.
- وانظر أيضاً: المستشار عبد الحلیم **الجندبي**، الإمام محمد عبده، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٩، ص ٧ وما بعدها.
- أحمد **أمين**، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٩، ص ٣٠٢ وما بعدها.
- (٢) الدكتور محمد **عمارة**، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، المجلد الثاني، ص ٣٢١.
- (٣) الدكتور محمد **عمارة**، الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، المجلد الثاني، ص ٣٢١ وما بعدها.
- (٤) أبو الفتح عثمان **بن جنبي**، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، القاهرة، بدون ناشر، وبدون تاريخ، المجلد الأول، ص ٤٠ وما بعدها.
- (٥) انظر: محمد علي **النجار**، تعليقه على نص كتاب أبي الفتح عثمان بن جنبي، الخصائص، المجلد الأول، ص ٤١، هامش رقم ٢.
- (٦) انظر: عبد الرحمن جلال الدين **السيوطي**، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وعلي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار الجيل، بيروت بدون تاريخ، الجزء الأول، ص ٨.
- (٧) **السيوطي**، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول، ص ٢٠.
- (٨) **السيوطي**، المزهري في علوم اللغة وأنواعها، الجزء الأول، ص ١٦.
- (٩) انظر: الدكتور مازن **المبارك**، الرمانى النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٤، ص ٢٤١.
- (١٠) انظر: عصام **نور الدين**، أبنية الفعل

- في شافية ابن الحاجب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ١٩٨٢، ص ٣٣.
- (١١) انظر: الشيخ صلاح الدين خليل بن أيبك **الصفدي**، الغيث المسجم في شرح لامية العجم، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٠، ص ٥٥.
- (١٢) انظر: خير الدين **الزركلي**، الإعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٩٥، الطبعة الحادية عشرة، المجلد الثاني، ص ٣١٤.
- (١٣) انظر: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر **بن خلكان**، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٩، المجلد الثاني، ص ٢٤٧.
- (١٤) **ابن خلكان**، وفيات الأعيان، المجلد الثاني، ص ٢٤٦.
- (١٥) انظر: الشريف **المرتضى** على بن الحسين الموسوي العلوي، أمالي المرتضى، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧، المجلد الأول، ص ١٣٦.
- (١٦) انظر: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف **القفطي**، إنباه الرواة على أنباء النحاة، تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية ببيروت، ١٩٨٦، المجلد الأول، ص ٣٧٨.
- (١٧) انظر: **رشدي راشد**، تاريخ الرياضيات العربية بين الجبر والحساب، ترجمة الدكتور حسين زين الدين، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ١٩٨٩، ص ٢٩٢.
- (١٨) انظر: شوقي **ضيف**، المدارس النحوية، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦، ص ٣١ وما بعدها.
- (١٩) انظر: أبو عبد الرحمن **الخليل** بن أحمد الضراهمي، كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ١٩٨٨، المجلد الأول، ص ٥٩.
- (٢٠) انظر: عبد الرحمن **بن خلدون**، المقدمة، دار التراث العربي، بيروت بدون تاريخ، ص ٥٤٨ وما بعدها.
- (٢١) انظر: أبو سعيد الحسن بن عبد الله **السيرافني**، كتاب أخبار النحويين البصريين، نشرة فريتهس كرنكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣٦، ص ٤٠.
- (٢٢) أبو بكر محمد بن الحسن **بن دريد**، جمهرة اللغة، دار صادر، بيروت بدون تاريخ، المجلد الأول، ص ٣.
- (٢٣) انظر: عبد الرحمن **بدوي**، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٩، ص ٢٨٣ وما بعدها.
- (٢٤) انظر: موفق الدين يعيش بن علي **بن يعيش** النحوي، شرح المفضل، مكتبة المتنبي، القاهرة، بدون تاريخ، المجلد الأول، ص ١٧.
- (٢٥) انظر: بهاء الدين عبد الله **بن عقيل**، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة ١٩٦٤، المجلد الثاني، ص ٥٢٩ وما بعدها.
- (٢٦) انظر: شوقي **ضيف**، المدارس النحوية، ص ٣٥.
- (٢٧) انظر: فخر الدين **قباوة**، تصريف الأسماء والأفعال، مكتبة المعارف، بيروت ١٩٩٤، ص ١١٢ وما بعدها.
- (٢٨) انظر: عصام **نور الدين**، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص ١٣٢.
- (٢٩) انظر: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر **سبويه**، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٨٢، المجلد الرابع، ص ٢٨ وما بعدها.
- (٣٠) انظر: عصام **نور الدين**، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص ١٣٠.
- (٣١) عصام **نور الدين**، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص ١٣١.
- (٣٢) انظر: **سبويه**، الكتاب، المجلد

من عبقرية اللغة العربية – نموذج معاني أوزان الأفعال

- الرابع، ص ٢٨ وما بعدها.
- (٣٣) انظر: أبو محمد عبد الله بن مسلم **بن قتيبة**، كتاب أدب الكاتب، تحقيق ماكس جروينرت، مطبعة برييل، ليدن ١٩٠٠، ص ٤٩٣.
- (٣٤) **ابن قتيبة**، كتاب أدب الكاتب، ص ٤٨٩.
- (٣٥) **ابن عصفور** الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، تحقيق فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٩٦، ص ١٢٧.
- (٣٦) **ابن قتيبة**، كتاب أدب الكاتب، ص ٤٧٣.
- (٣٧) **ابن قتيبة**، كتاب أدب الكاتب، ص ٤٧٦.
- (٣٨) **ابن قتيبة**، كتاب أدب الكاتب، ص ٤٨٠-٤٨١.
- (٣٩) **ابن عصفور** الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، ص ١٢٦.
- (٤٠) انظر: **سيبويه**، الكتاب، المجلد الرابع، ص ٧١.
- (٤١) انظر: عصام **نور الدين**، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص ١٦١.
- (٤٢) **ابن قتيبة**، كتاب أدب الكاتب، ص ٤٩٤.
- (٤٣) **ابن قتيبة**، كتاب أدب الكاتب، ص ٤٩٥.
- (٤٤) **ابن عصفور** الإشبيلي، الممتع الكبير في التصريف، ص ١٢٩-١٣٠.
- (٤٥) **ابن قتيبة**، كتاب أدب الكاتب، ص ٤٨٥.
- (٤٦) **ابن قتيبة**، كتاب أدب الكاتب، ص ٤٩٨.
- (٤٧) فخر الدين **قباوة**، تصريف الأسماء والأفعال، ص ١١٩.
- (٤٨) انظر: عصام **نور الدين**، أبنية الفعل في شافية ابن الحاجب، ص ١٦٥.
- (٤٩) انظر: **سيبويه**، الكتاب، المجلد الرابع، ص ٧٠.
- (٥٠) عصام **نور الدين**، أبنية الفعل في
- شافية ابن الحاجب، ص ١٦٧.
- (٥١) **ابن قتيبة**، كتاب أدب الكاتب، ص ٤٩٦.
- (٥٢) **ابن قتيبة**، كتاب أدب الكاتب، ص ٤٩٨.
- (٥٣) فخر الدين **قباوة**، تصريف الأسماء والأفعال، ص ١١٣.
- (٥٤) فخر الدين **قباوة**، تصريف الأسماء والأفعال، ص ١٢١-١٢٢.